من المعركة الى مقتل الجعفر الصحراوي

وقد استيقظ المخيم ..

استيقظ المخيم منذ مطلع صباح ١٧ ايلول على اصوات الدبابات الغازيه . كان الاهالي يتوقعون الهجمه ، بعد تشكيل الحكومه العسكريه وتعيين المجالي حاكما عسكريا . وبالطبع لم تكن المليشيا قد سلمت اسلحتها ، كما طلب ذلك حضره المشير ، بل كانت مستنفره .

كانت المعارك في الصباح تدور في منطقه الكفاح المسلح ودوار مكسيم ، وكانت التنظيمات تلقي بكامل ثقلها في تلك المنطقه . وبدأ دوي القذائف . واخذت الحراره تدب في مشاعرنا . ان مصر نضالنا ضد اسرائيل توقف الى حد بعيد على نتائج معركه هذا اليوم . واننا سنخوض تجربة هائله ضد جيش نظامي. هل سيظل الجيش الاردني ، الجيش العربي بحارنا وكأننا اعداؤه بعد ان انسحب قطاعاته من الاغوار ؟ كنا نتساءل ، لكنا كنا نترك الاجابه للاحداث التي لا تمهل احدا ..

بالطبع كانت قوات المقاومه في الجبل درع حصين لنا ، امام هذه الهجمه الضخمه . الصحيح ان عناصر المقاومة بما فيها عناصر الجبهة لم تكن تتوقع أن يكون هجوم الجيش بهذا الحجم ، فهناك طرف ثالث هو أهل المدينه، الذين للاسف ، لا يقاتلون ، وان كانت غالبيتهم في صف المقاومة . لم يحدث ارباك ، انما اشتعلت مشاعرنا بالحماس والترقب . كنا نتوقعها معركة كبيرة ، لكننا لم نتوقعها حربا اهلية يقذف فيها الجيش بكل ثقله ضد ابناء الشعب وطلائعه . كنا منذ اليوم السابق قد استنفرنا منه بالمئة ، حيث وزعت الكمائن في المواقع المهمة ، كما كانت لدينا خطه مسبقه لعدد من العمليات متفق عليها مع القيادة . فمنا بتشكيل الوحدات التي تقوم بهذه العمليات ، ومن تلك المواقع المستهدفة مقر الاركان العامة وكتيبة الحراسة ، واطلقنا على هذه العمليات وغيرها « عمليات المختار » .

وقد اتبعنا في تصدينا للسلطه اسلوبين متصلين : الاول التنسيق مع المنظمات المواجدة، والثاني تنفيذ الخطط الخاصة التي تقررها قيادة الجبهة .

هاجمنا في البدايه آلاركان العامة والقلعة ، وابقينا على كمائن في مدخل المخيم مزودة باسلحة مضادة للدبابات ، وذلك حسب اتفاق مع المنظمات بان تقوم الجبهة بحماية المخيم .

حتى مساء ذلك اليوم كان القتال شديدا في منطقة الدوار . قوات السلطة عاجزة تماما عن التقدم ، وقد دمر رفاقنا ٣ دبابات في مدخل المخيم ، كما قام رفاقنا المكلفين بضرب القلعة بتركيز نيران مدافع الهاون والكرنوف باتجاه القلعة ، بينما قام رفاق آخرون بتفجير الالغام المزروعة على سفح القلعة . وفي الجانب الاخر تمكن رفاقنا مع عناصر المقاومة من صد هجوم الاليات من جانب النزهة . هذا بينما كانت عمليه الاركان العامة قد نفذت بشكل ممتاز بالتنسيق والتعاون مع رفاق المنظمات ، وبقيادة الرفيق « سالم » واشتراك عدد من الجنود داخل الاركان المنضمين للجبهة الشعبية ، حيث قام رفاق الداخل (الجنود) بحرق مخازن الوقود بمجرد ان اطلقت القذائف على الاركان العامة .

واستمرت الاشتباكات امام المحاولات اليائسة الى تقوم بها دبابات السلطة لمهاجمة المخيم واحتلاله ، بالاضافه الى قصف مدفعي ثقيل كان ياتي من ثلاث جهات : الجهه الاولى هي القصور الحراسات الملكية . واحيانا كان المخيم يتعرض لقصف من منطقه دوار مكسيم .

وعند المساء كنا قد اجتمعنا لمناقشه العمليات الى نفذت ، والثغرات في دفاعنا ومجوسنا وتنسيقنا مع المنظمات المقاتله ، واستعرضنا اسلوب المواجهه في الساعات التاليه ، وكيفيه الاتصال بالقياده .

واخذت الايام تتعاقب

انتهى اليوم الاول ، ومعنوياتنا عاليه جدا . اننا لا نصمد فقط بل ندحر قوات السلطه . اصبحنا نشعر بفعاليه وجودنا ، امام قمع السلطه الدموي . ولكننا كنا مدركين بان المعركه ستكون طويله وشاقه ومريره لاننا مضطرون للاشتباك مع مؤسسه الجيش بكاملها ، ولا نستطيع ان نراهن فورا على تفككها ، بل نضع في حسابنا انها ستستخدم بجميع الاسلحه التي لديها .

بدأ اليوم الثاني من المعركه (لا بد ان النظام يعتبرها حرب الايام العشرة ..) ، بالقصف بعمليه هجوم وتمشيط المناطق الجبليه ، وقد ساهمت في ذلك معظم الفصائل ، وبعد عمليه التمشيط انسحبت القوات الملكية من دوار مكسيم . وكنا قد تزودنا بكل احتياجاتنا من اسلحه ثقيله وذخائر من فصائل المقاومة وحاصرنا فتح وقوات التحرير، وبعد سلسلة من الاشتباكات التي لم تنقطع ، انتهى اليوم الثاني بانسحاب القوات الغاشمه عن المخيم بعد ان قمنا بانقاذ الجرحى ، كما انسحبت قوات السلطة نهائيا من دوار مكسيم .

في اليوم الثالث، كانت المعنويات قد ارتفعت بالرغم من سقوط عدد من الجرحى ، بين صفوف الشعب والمقاومه . اما الشهداء فبلغ عددهم ٨٠ شهيدا . في المعارك كلها خسر المخيم ، عسكر الثورة ٣٥٠ شهيدا ، بينهم ٥٠ فدائيا ، ٢٠ منهم قتلوا عندما سقطت قنبلة على مكتب « الهيئه العامله » . انني لا استطيع ان اتصور بان معارك ايلول ممكن ان تتكرر ، بالشكل الذي حدثت فيه . كانت المقاومة بصورة عامة في موقع دفاع ، وثابت . كان من السهل على الجيش ان يقصف ويقذف القنابل ويوقع خسائر فادحة . وبالطبع فان القاده العملاء كانوا يراهنون على التاثير النفسي البالغ الذي تحدثه الخسائر . كل الشعب كان في نفرهم عدوا لهم ، واعمال التعاون في العدد كانت القوات العميلة تطبع بالانتصار ، لكن الشعب كان قد صمم على الصمود ، والمشاركة ما امكن بالقتال : امرأة فقدت ابنها الوحيد ، فجاءت تطالبنا سلاحه لكي تاخذ دوره . عندما نسمع هذا الكلام تذكر القصص، هذا واقع لا علاقة له بالصور الادبية .

اما العجوز « ابو خالد » فقد جاءنا مفتخرا لروي واقعه تدمر الدبابات قرب المخيم . لم يسال عن ابنه خالد الذي لم يره منذ بدء القتال ، فكرت في بادىء الامر انه يخجل من ان يسال . وعندما قلت له لماذا لا تسال عن ابنك ، شعرت باني اخطات . كنت قد اثرت عاطفته ، وبعثت فيه هاجسا معينا . لكنه لم يفصح عن ذلك ابدا ، فقال لي وهو لا يعرف ان ابنه خرج الى الاول : تلهم اولادي ، عمن تريدني

اليوم الرابع وصلنا خبر انضمام « لواء في هذا اليوم الثورة ، فارتفعت معنويات « لقوات الثورة . وانتهى اليوم الثالث ، والقوات عاجزة عن دخول المخيم ، بينما كانت تقل .

اليوم الرابع كانت معنوياتنا تتصاعد . ، خاصة الثقيلة ، نقل وكذلك كادت الاسلحة الخفيفة والادوية . وفي هذا اليوم السلطة العميلة الى اسلوب التسلل ، المخيم ، وكنا نتوقع ذلك . واستطاع « سالم » ان يقود اكثر من ٢٠٠ مقاتل المنظمات لضد عمليات التسلل ، وقد المقاومة في ذلك . وكان هذا ابرز ما اليوم الرابع .

ان القصف المدفعي كان قد اوقع خسائر صفوف الشعب . كان علينا ان نحفظ ونحن نراقب الخسائر ، لا سيما وان اجراء متوقعة . شاهدنا في ذلك اليوم نا . تاتي امراة الينا ، تحمل على شهيد ، تطالب له بالسلاح . اكثر حمل ذلك ، وكان علينا ان نضبط ونحن نرى امراة تحمل الجسد المغطى . بينما هي مدخل المخيم كان رفاقنا ها لم يكن بيدنا غير الدفاع وصد هجوم ، وزمنا انفسنا على محاور حول المخيم ، الاسلحة الثقيلة كانت ضئيله ، مما يمنع هجوم مشاة من منطقة النزهة ومنطقة ومدخل المخيم ، لم نكن امامنا

في اليوم السابع ، كان علينا ان نتصرف ، باعتبار القوات الملكية قادمة الينا بدباباتها ومدرعاتها . ان المخيم يوشك على السقوط ، بعد ستة ايام ، من القتال الضاري ، بالاسلحة البريطانية والامريكية ، ولم تنجح في تحقيق مهمتها .

عمدنا الى الاف جمع الاوراق والسجلات التي لا نستطيع تهريبها واصدرنا التعليمات الى الرفاق باخفاء الاسلحة وخلع اللباس العسكريه في حال دخول الجيش . كان الدفاع مستحيلا بالاسلحة الخفيفة ، بالاضافة الى انه سيؤدي الى خسائر هائله في صفوف الاهالي . كان ذلك يوم حزن عظيم . حزن لم يمنع عناصر من المقاومة عن القيام بعمليات انتحارية . سقط في الشوارع والازقة عدد منهم . كانت تتقدم ٦٠ دبابة من مختلف الاتجاهات بالاضافة الى قوة من المشاة . وبعد ذلك خرج قسم من الاهالي الى الشارع حفاظا على الاطفال ، لكن الجنود (الميامين) استشروا عليهم ، بالرصاص الجبان . ثم جمع كل الرجال والشبان في المخيم، وتوجهت بهم لاندرات الجيش الى معسكر هرور . هناك جعلونا نفترش ارضا « مزروعه » بالشوك . كنا بالالاف ، وحولنا طوق من الالسن والرشاشات ال ... علم .

حاولوا الحصول على اسماء الفدائيين ، بوعد الجماهير باطلاق سراحها ، اذا ما « اعترفت » بالاسماء . لكن الجماهير رفضت ، وكانت على استعداد لتوقع اي شيء . بقينا ليلتين ، ثم اختاروا عددا كبيرا من الشباب ونقلوهم الى معسكر الهندسة في الزرقاء . وكان معنا عشرات الجرحى وبعضهم كان يشكو من شظايا قنابل لا زالت في جسده . فقام احد الشباب وهو طالب في كلية الطب باجراء عمليات جراحية بدائية لانتزاع الرصاص .

لا انسى ذلك الشبل البطل ، نزع الشاب رصاصة من صدر الشبل « ابو عتي » . فالتقطها ابو علي بخفة وتمعن فيها ، ثم وضعها فورا في جيبه . وعندما سألناه لماذا فعلت ذلك ؟ استهجن السؤال ، فاجاب وهو (يسايرنا) « انها .. للذكرى ، اليست وساما رفيعا » ؟

بعد معسكر الهندسة، نقلونا الى الاسطبلات العسكرية . استجواب وتحقيق وتعذيب ، انهم في مركز قوة لاول مرة منذ ثلاث سنوات . خافوا في دماء الشعب والمقاومة . وادارو ظهرهم لاسرائيل ، في سبيل أن يحاربونا . وبعد اربعة ايام عدنا الى طرطبور . ان الناس لا تعرف هذه الاسماء ، لكنها للاسف ـ معسكرات للجيش وفجر يوم ٢٩ ايلول جاءنا جندي ، واخذ يقرا اسماء معينة ومنها اسمي ، كنا نتوقع أن يتكلوا بنا ، ولم نكن نشك في احتمال اعدامنا . غير اني كنت افكر في تلك الاثناء بمخيم الحسين ، معسكر الثورة ، الذي اقتحمه الجيش . ولم اكن لاستطيع ان اتصور ماذا يحصل بالضبط ، فنحن لم نواجه مثل شراسة هذه المعركة . قد يذكر التاريخ ان معركتنا مع النظام الرجعي في الاردن ، كانت اقسى معركة في نضالنا من اجل فلسطين . الذين ينادون بالتعايش الان ، عليهم ان يدركوا ان النظام رفض التعايش معنا منذ ان وجدنا . انه يجعل تناقضاته معنا في مرتبة التناقض الرئيسي . وهذا على الاقل ما دفعنا لقتاله .

قادونا الى السيارات بالركل باعقاب البنادق واغلقوا علينا السيارات اغلاقا تاما . لم نكن نعرف الى اين نتجه . لكنا كنا ندرك اننا في الصحراء . ان النظام الاردني لا يزال بحاربنا .

لاول مرة بحارب
المسيرة في الس
اننا في الطريق
اننا في طريقنا
الى سوريا . اهم
ولم يدخروا قوه
القطوا اثنين منا
بهم في الصحرا
العطش . كان ال
فنحن لا نقوى عل
صحراء . وبعد م
فتحوا ابوابها ، و
يستقبلوننا بالهراو
المطاط المعدنية .
يعيشون الحقد في
سيارة فريق منهم ،
وبعد قليل تبينا ا
كل ما نملك من س
وغيرها . ثم قذفو
تلو الاخر . وكانوا
فحفروا على الص
وخارجه مولود » !

دعونا وسط الموج
كانت عمليات الضرب
اتفق . لم استطع ز
سيعرض هؤلاء عض
غالبيتنا . وضعونا
كانت الجدران مطلي
بلا طعام ، وفي كل يو
من رفاقي اننا في الي
معظمهم قد زاروه من
وصفي النل السابق
اما التحقيق فلم يكن
« كنتم تتعرجلون بـا
قد اسرائيل حتى ن
استطاعوا انتزاع اعتر
قبل اعدامهم والقائهم
بعد مرور اكثر من
الفاشية ، وفي ليلة
ايقظونا بالاسماء ، بحـ
والصاعقة والديمقراطية
بلغ عدد الاشخاص في
وهي لا تتسع في الاصل
مسافة بنا ثم توقفت
نتكىء على بعضنا . و
السيارات ، واعطونا بط